

الحلقة الثامنة عشرة

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هل تعامل مستمعي الآخرين من حولك بحسب مبدأ المحبة؟ وهل تعلم ماذا يعني أن تحب الآخرين، وأن تعاملهم بالمحبة؟ قد يكون من الطبيعي أن يحب الإنسان أهله وأشقائه وأقربائه وأصدقائه، لكن أحياناً حتى هؤلاء قد تنشأ بيننا وبينهم علاقات متوترة ونفقد محبتنا لهم.

وماذا عن الناس من حولنا؟ هل نحبهم؟ وهل نعاملهم بالمحبة؟ لكن قبل ذلك كله هل نعرف نحن شخصياً ماذا تعني المحبة؟ وهل اختبرنا المحبة في حياتنا؟ أم أننا على العكس من ذلك نعيش حياة البغضاء والكراهية، وحياتنا بعيدة جداً عن سلوك المحبة. هل تعلم مستمعي أن الله الخالق العظيم وعلى عكس ما يتصوره الكثيرون هو المحبة بذاتها؟ كتب الرسول يوحنا من رسل المسيحية الأوائل في رسالته قائلاً:

«أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ. بِهِذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِينَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَي نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحِبُّبْنَا اللَّهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا. اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا قَطُّ. إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللَّهُ يَثْبُتُ فِينَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا» (يوحنا ٤: ٧-١٢). إذن إن الله خالقنا هو المحبة بعينها. وكل من يسلك في المحبة يكون قد اختبر محبة الله في حياته. سنأمل أعزائي في لقاء اليوم بهذه الآيات المعبرة.

مستمعي الكريم، بدأ الرسول يوحنا كلامه في الآيات المقدّسة التي اقتبسناها قبل قليل، بحث المؤمنين بالمسيح على محبة بعضهم بعضاً، أي لكي يسلكوا بالمحبّة تجاه بعضهم البعض. والسبب الذي ذكره «لأنّ المحبّة هي من الله» أي مصدرها الله المحب الذي يدّعي المؤمن أنه يتبعه.

ثمّ تابع الرسول يوحنا قائلاً: «وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ». إن البرهان أن الإنسان قد اختبر الولادة الروحية الجديدة من الله وأنه يعرفه، هو أن يحب الآخرين ويسلك في المحبة. وعلى العكس إن من لا يسلك في المحبة فهذا دليل أكيد أنه لم يعرف الله، أي لم يختبره.

وهنا أعلن لنا الرسول يوحنا حقيقة هامة عن الله عندما قال: «لأنّ الله محبّة». وهذه أعظم حقيقة يعلنها لنا الكتاب المقدّس أن الله هو محبّة. أي هو المحبّة بذاتها، وليس مصدرها فحسب. فهل هناك من حقيقة أعظم منها؟ وهل كنت تعلم مستمعي أن الله محبّة؟ أم لديك تصورات أخرى عن الله؟

هناك كثيرون يعتقدون أن الله بعيد جداً عن الإنسان، وأنه هو الإله الصارم القاسي الذي يجب أن نرتعب منه ونخافه. وأن لا سبيل إلى التقرب إليه فكيف بإقامة علاقة روحية معه. ولهذا نجدهم يحاولون إرضاء الله بشتى الوسائل، علّه يرضى عنهم. وأقاموا لأنفسهم ديانة تُبنى على علاقة الخوف ما بين الله والإنسان. لكن الحقيقة كما ذكر الرسول يوحنا أن الله أظهر أي أعلن محبته الفائقة لنا، بأن أرسل ابنه الوحيد كلمته الأزلي إلى عالمنا، لكي نستطيع أن نحيا به. أي لكي نقيم علاقة روحية معه، ونحيا حياة صحيحة. لأننا بالله وحده نحيا ونتحرّك ونوجد، فإذا كان هذا الأمر بالنسبة للعالم المادي فكيف بالعالم الروحي؟

أما البرهان على محبة الله لنا بقول الرسول يوحنا: «في هذا هي المحبّة: ليس أنّنا نحن أحببنا الله، بل أنّه هو أحببنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا». أجل، إن الله هو الذي أحببنا أولاً نحن الخطاة، وقد برهن عن محبته العظمى هذه بأن أرسل المسيح المخلص لكي يكفّر عن خطايانا، بموته الفدائي على خشبة الصليب.

صديقي المستمع، هل لديك أي شك بعد الآن بمحبة الله الفائقة لك؟ فهو برهن عن محبته بأن دبر لك طريقاً تخلص به من خطاياك، وتحرر من عبوديتها، وتنال بموجبه الحياة الأبدية. وهذا الطريق بواسطة موت المسيح الكفاري البديلي عنك على الصليب،

إذ أخذ عقاب خطاياك عوضاً عنك. أجل، هل هناك من محبة أعظم وأعمق من هذه؟ ولهذا تابع الرسول يوحنا قائلاً: «أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنَّ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا». وبتعبير آخر: إن كان الله قد أحبنا بهذا المقدار، وغفر خطايانا، فكم بالحري علينا كمؤمنين بالمسيح أن نُحِبَّ بعضنا بعضاً.

وها هو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل يكتب قائلاً: «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْأَلُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً.» (أفسس ٥: ١-٢). على المؤمن بالمسيح إذن أن يسلك بالمحبة ليس تجاه إخوته المؤمنين فقط بل تجاه جميع الناس. والسبب لأن المسيح المخلص أحبه وبذل نفسه على الصليب من أجله. وهناك العديد من الآيات التي تحت المؤمنين على المحبة.

ثم أضاف الرسول يوحنا معلناً حقيقة أخرى هامة وهي أن: «اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ». فكما نعلم أن الله روح ولا يستطيع أحد أن يراه، لكننا نرى الله من خلال أعماله المبدعة في الخليقة، ومن خلال محبته المضحية. ولهذا تابع الرسول معلناً هذه النتيجة الهامة: «إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللَّهُ يَثْبُتُ فِيْنَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِيْنَا». إن محبة المؤمنين بعضهم لبعض، يؤكد وجود الله في حياتهم، وأنه هو الذي غير أو بدل حياتهم من الداخل. وأن محبته قد تكملت فيهم، أي أن محبته قد حققت غرضها النهائي في حياتهم.

إذن يستطيع الإنسان أن يسلك بالمحبة، فقط عندما يؤمن بالله المحب، وبالمخلص المسيح الذي مات من أجله على الصليب. عندها يغير الله حياته من الداخل، ويغفر خطاياها. ألا تود مستمعي أن تختبر المحبة الحقة في حياتك؟ آمن فقط بالله المحب، وبالمخلص المسيح الذي برهن عن محبة الله لك بشكل عملي.